الفصل الثامن

ماذا أفعل مع هؤلاء؟

٥١. انتصر على أعدائك

٥٢. اصبر على كيد الحسود

٥٣. انس الاساءة وتطلع للأرقام

٥٤. قبل أن تنقذ غريقا

٥٥. اصفح عمن ظلمك

٥٦. التمس العذر للآخرين

(٥١) انتصر

انتصر على أعدائك بتجاهلهم وعدم الالتفات إليهم وكفاك منهم ما سوف تحصل عليه من الحسنات بسبب الغيبة التي يقعون فيها ليل نهار من فرط حقدهم عليك، واذكر يا بني حديث رسول الله ﷺ قال: "أتدرون من المفلس ؟".

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: " إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار".

إن النبي ﷺ وهو الذي أوتي جوامع الكلم يحدثنا عن المفلس الحقيقي وهو مفلس الآخرة؛ حيث لا عملة هناك إلا الحسنات والسيئات، أما مفلس الدنيا فهو مفلس محتمل، وقد يتبدل حاله في الدنيا من الشدة والعسر إلى السعة واليسر بفضل الله وبرحمته في عشية أو ضحاها .

يا بني، إن الفيل لا يشعر بالكلب إذا مر بجانبه، والحصان لا يشعر بالذبابة إذا وقفت على ظهره، وكذلك فإن الأسد لا يأبه كثيرًا بما يجري في الغابة من حوله؛ لأنه لا يخشى شيئًا ولا يهاب أحدًا، أما مرور الأسد بجانب قطيع من الغزلان أو الجاموس

فيتسبب ذلك في توتر شديد وتهديد كبير، فإذا كنت دائم القلق والتوتر بسبب حديث بعضهم عليك فأنت الطرف الأضعف، وسيشكل ذلك حديثًا ذاتيًا سلبيًا يشعرك دائمًا بأنك ضحية ويفقدك كل القدرة على السيطرة على المواقف والتعاطي بإيجابية مع أحداث الحياة .

وإذا كنت تشعر ببعض المكائد التي يحيكونها لك فإني أوصيك بوصية جعفر الصادق ﷺ: "عجبت لمن مكر به ثم لم يفزع إلى قول الله ﷻ (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [1])، فإني سمعت الله في عقبها يقول: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا [2])". وتذكر يا بني أن التي تتعرض للقذف بالحجارة هي الشجرة المثمرة، أما الشجرة الخبيثة التي لا ثمر فيها فلا يفكر أحد في رشقها بالحجارة .

وإذا جمعتك الأقدار معهم ودار بينك وبين أحدهم حوار فحاول أن تضعهم أمام الحقيقة التي يتناسونها دائمًا فقل لهم بحزم ووضوح وقوة:

الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا.

---

[1] سورة غافر، آية ٤٤ .

[2] سورة غافر، آية ٤٥ .

(٥٢) اصبر

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وتذكر يا بني ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ".

ومن أكثر جهلا من الحاسد الذي يعاقب على جريمته قبل ارتكابها فهو لم يحسد إلا بعد أن يشتعل قلبه نارًا وهو يتمنى زوال فضل الله على عباده، لقد قال الشاعر عن الحاسدين:

إني لأرحم حاسدي لحر ما ضمت صدورهم من الأوغار

جحدوا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

أما حديثي إليك اليوم فهو ما يجب عليك فعله عندما تتعرض للحسد والحقد ممن حولك سواء علمت بذلك أو لم تعلم .

بداية فإن كل ذي نعمة محسود، فأي إنسان يتميز في شيء ما بطريقة ملفتة للنظر فإنه لا بد أن يكون له أعداء، حتى وإن لم يُظهروا له العداوة، إلا أن بعض الناس أحيانًا قد لا يستطيع أن يُخفي ما في نفسه فيبدأ في شن الحرب الظاهرة عليك، وهذا الذي قال عنه النبي ﷺ: "إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب". فأنت لن تستطيع أبدًا أن تمنع الناس من كراهيتك، ولن تستطيع أبدًا أن تمنع الناس من أن يتكلموا فيك أو يكذبوا عليك؛ لأن هذا أمر فوق طاقاتك والأفضل هو التفكير في طرق ترد بها إيجابيًّا على هؤلاء ومنها:

(١) أن تواصل ما أنت عليه من الخير، ولا تتوقف عنه نهائيًّا، ما دمت صادق النية وتفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، فواصل ما أنت عليه وتمسك به.

(٢) سل الله أن يتقبل منك هذه الأعمال كلها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

(٣) حاول أن تتألف الحاسد بأن تسلم عليه، وأن تقدم له هدية في أي مناسبة من المناسبات، وحاول قدر الاستطاعة أن تتقرب منه، وأن تشعره بأنك تحترم وجهة نظره، وأنك تقدر أفكاره الطيبة، وأنك تتمنى أن يتعاون معك في خدمة

الناس، وحاول أن تقتل شيطانه الذي يؤجج نار الغل والحقد الذي بينك وبينه.

(٤) عليك بسلاح الدعاء، فإن الدعاء كما أخبر النبي ﷺ ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وقد أخبرنا النبي ﷺ بقوله: " لا يرد القضاء إلا الدعاء"، وقوله: ليس شيء أكرم على الله من الدعاء".

من يعرف السبب الذي يعيش من أجله يستطيع تحمل العيش بأي طريقة تكون

نيتشه

فتوجه إلى الله بالدعاء أن يهديه الله وأن يصلح ما بينك وبينه، كما كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام مع المشركين، فإن ما تعانيه عانى النبي عليه صلى الله عليه وسلم من أهله وعشيرته في مكة أضعاف هذه المعاناة، ورغم ذلك ما كان يزيد على قول: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون" .

وإذا تقربت منه فلا تعاتبه أبدًا في أي إساءة جاءت منه، لأن ظروفه قد تكون صعبة، وأنت رجل متميز أكرمك الله بأشياء هو محروم منها، فالناس المتميزون عمومًا يُزعجون غير المتميزين في كل زمان ومكان، ولكنك تستطيع أن تطفئ نار

الفتنة بحسن العشرة وحسن المعاملة والسلام عليه والمصافحة كلما قابلته، ولا تُشعره بأنك تتمنى له عدم التوفيق أو أنك تتمنى أن ترى عليه عاقبة فعله، وإنما كلما قابلته سلم عليه، وادعُ له بتمام الصحة وكمال العافية .

وقد كان النبي ﷺ يعطي مثل هؤلاء الناس ويحاول أن يبالغ في إكرامهم لعله أن يطفئ نار الغضب والكراهية في قلوبهم، ولعله بذلك أن يؤلف قلوبهم على الحق، فأنت تستطيع أن تؤلف قلبه حتى يعلم أنك أحسن منه، وبحسن العشرة والمعاملة والدعوة والدعاء سوف تتألف قلبه وسوف يكفيك الله تبارك وتعالى شره، وأرجو أن لا تشغل بالك به أبدًا، واستمر فيما أنت فيه، وأحسن معاملته، والله عز وجل سيتفضل عليك بالمكافأة مرتين؛ الأولى: الصبر، والثانية: حسن الخلق ورد الإساءة بالإحسان .

(٥٣) انس

انسَ الإساءة وتطلع للإمام، ولا تلتفت كثيرًا إلى النقد غير البناء، وتذكر أن الكلاب تعوي والقافلة تسير، وأن الأشجار العالية الشامخة لا يستطيع الأقزام النيل منها فيضطرون إلى رميها بالحجارة .

واعلم يا بني أنه إذا طعنك الناس من الخلف فتأكد أنك في المقدمة، وما أجمل أن تكون كالنخيل عن الأحقاد مرتفعًا يرمى بحجر فيلقي أطيب الثمر .

إن إساءة الناس لبعضهم البعض هي من سنن الله في خلقه؛ فالأنبياء على علو قدرهم وسمو مكانتهم تعرضوا جميعًا إلى إساءات كبيرة لا تحتمل ولا تطاق، والأمثلة عديدة ولا تحصى، بل أن منهم من قتل ومع ذلك فلم يلتفت أحد منهم إلى إساءات الآخرين، ومضوا جميعًا في طريق أهدافهم .

يقول الله ﷻ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا [1]).

---

[1] سورة الأحزاب، آية ٦٩ .

ويقول ﷻ: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ [1]).

إن سفهاء البشر موجودون في كل زمان ومكان، إنهم لم يتوقفوا عند إيذاء البشر العاديين ولم يتوقفوا عند إذاء النبيين، بل إنهم تمادوا في وقاحتهم وسوء خلقهم فتعرضوا للذات الإلهية وهم يوقنون أن الله ﷻ الواحد الأحد مالك الملك رب السماوات والأرض فقالوا: (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ [2])،

وقالوا: (يد الله مغلولة)، وقالوا: (اتخذ الله ولدا)، إنهم قالوا عن نوح ﷺ مجنون، وقال كفار مكة عن النبي ﷺ: ساحر، وقالوا: شاعر، وقالوا غير ذلك!!!

أين أنت يا بني من هؤلاء العظام الذين اصطفاهم الله ﷻ ليبلغوا رسالته إلى الناس وتعرضوا لهذا القدر من الإساءة؟!!

---

[1] سورة الصف، آية ٥ .

[2] سورة آل عمران، آية ١٨١ .

يا بني، امض إلى أهدافك، ولا تلتفت لأحد، ولتكن إساءاتهم كنعيق الغربان التي لم تمنع يومًا شروق الشمس أو غروبها .

وهذه يا بني قصة الصديقين العميقة الأثر:

كان هناك صاحبان يمشيان في الصحراء وفي أثناء سيرهما اختلفا ودار بينهما نقاش حاد، فصفع أحدهما الآخر فتألم الصاحب لصفعة صاحبه، ولكن لم يتكلم بل كتب على الرمل: " اليوم صفعني أعز أصحابي على وجهي"، وواصلا المسير ووجدا واحة، فقررا أن يسبحا في الماء، وأوشك الذي تعرض للصفع وتألم من صفعة صاحبه على الغرق أثناء السباحة فأنقذه صاحبه الذي صفعه، ولما أفاق من تأثير التعرض للغرق نحت على الحجر "اليوم قام أعز أصحابي بإنقاذ حياتي" فسأله صاحبه: لماذا كتبت على الرمل عندما صفعتك ؟ ولكن عندما أنقذت حياتك من الغرق كتبت على الحجر؟ فابتسم وأجابه: عندما يجرحنا من نحب علينا أن نكتب ما حدث

إذا كنت تريد إسعاد الغير فأظهر الرحمة والرأفة والعطف للآخرين، وإن كنت تريد إسعاد نفسك فأظهر الرحمة والرأفة والعطف للآخرين أيضًا

(دالاي لاما).

على الرمل لتمسحها رياح التسامح والغفران، ولكن عندما يعمل الحبيب شيئًا رائعا علينا أن ننحته على الصخر حتى يبقى في ذاكرة القلب حيث لا رياح تمحوه فلنتعلم الكتابة على الرمل .

(٥٤) قبل

قبل أن تنقذ غريقًا تأكد أولا أنه مستعد للإنقاذ؛ لأن الهدف أن تنجوا معًا وليس أن تغرقا معًا، وكثير من محاولات الإنقاذ نتج عنها غرق المنقذ مع من حاول إنقاذه، والأمر يا بني لا يقتصر على الغرق في المياه وحسب، بل يمتد ليشمل الحياة أيضًا .

ولكي أشرح لك ما أقصد فتعالَ نستعرض قواعد إنقاذ غريق المياه، ثم ننتقل إلى غريق الحياة .

- تذكر أن الشخص الغريق يكون في حالة فزع ورعب شديد، وبسهوله قد يشد منقذه معه للغرق .
- حاول جاهدًا أن يكون نزولك إلى الماء بنفسك لإنقاذ الغريق والإمساك به هو آخر شيء تلجأ إليه.
- من الأفضل أن يكون معك قارب أو ما شابه أو على الأقل طوق نجاة لك .
- تحدث إلى الغريق عند الاقتراب منه لتهدئته قدر الإمكان، حاول ألا تمسك بالغريق مباشرة، من الأفضل إلقاء شيء إليه ليمسك به مثل طوق نجاة، أو

مجداف، أو لوح خشبي طويل أو ملاءة أو فوطة طويلة، واطلب منه الإمساك به وجره إلى الأمان .

- إذا كان هناك أكثر من منقذ، يفضل ربط وسط المنقذ المتوجه للغريق بحبل يمسك به المنقذ الآخر.
- أمسك الغريق من خلفه وليس من الأمام، واطلب منه أن يرخي جسمه ليطفو إن كان ذلك ممكنًا .
- إذا حاول الغريق مع فزعه الشديد التعلق بك بشدة وأصبح غرقك وشيكًا، فإن أسلم ما تفعله هو أن تغطس للقاع قليلا حتى تتخلص منه، هو لن يتبعك أبدًا إلى القاع، ثم اخرج من القاع بعيدًا عنه، وأعد محاولة إنقاذه.

لقد قصدت يا بني أن أتحدث إليك عن غريق الماء لكي أقرب لك الصورة، والآن تعالَ إلى الحياة ستجد كثيرين منا يحاولون مساعدة الآخرين رغبة في فعل الخير، فإذا بهم يتسببون في جلب المشكلات لأنفسهم وإفساد حياة من يريدون مساعدتهم .

هذه بعض مواقف الحياة التي كنت شاهدًا عليها .

رجل عرف عنه سوء التدبير في الأمور المالية، وأراد أن يبدأ مشروعًا، فذهب إلى البنك للحصول على قرض، وطلب البنك ضامنًا للقرض، فذهب الرجل إلى بعض أصدقائه ليضمنه في القرض على اعتبار أنه إجراء روتيني لا أكثر، وبالفعل وافق أحد الأصدقاء بدافع الشهامة وقام بضمان القرض .

تعثر الرجل فرجع البنك على الضامن، وبدلا من وجود مشكلة واحدة مع المقترض أصبح لدينا مشكلتان للضامن والمقترض، ولا داعي لأكمل لك باقي القصة المأساوية، وأرجو أن تكون رسالتي قد وصلت إليك .

وحكاية أخرى لمشكلة حدثت بين اثنين وتدخل أحد الطيبين للصلح بينهما تطبيقًا لقول الحق ﷻ: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) إلا أن المصلح - رغم نبل مقصده - لم يكن حكيمًا بما فيه الكفاية، فحاول ترطيب الأجواء دون أسس موضوعية، فلم يواجه أيًّا

همسة سريعة

إذا جاءك من يطلب منك أن تعلمه الصيد فقم معه على الفور، وإذا جاءك من يطلب منك أن تعطيه سمكة فتمهل قليلا ثم فكّر وفكّر، وخذ بعد ذلك قرارك .

منهما بخطئه بل كان من فرط رغبته في الإصلاح يوجه اللوم على الغائب، فأصبح كلاهما يعتقد جازمًا بأنه على حق بشهادة المصلح، ثم تحول الأمر إلى أن أصبح المصلح عدوًّا للاثنين .

هذه الحكايات ومثلها كثير تحدث كل يوم، وكل ما أرجوه منك أن تتذكر قول النبي ﷺ في الحديث المعجز والذي يلخص العلاقة بين البشر في إيجاز رائع: " لا ضرر ولا ضرار ". فالأصل في المعاملات يا بني ألا تضر بنفسك ولا بغيرك..

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: "أَلَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟". قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَدَحٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ. قَالَ:" ائْتِنِي بِهِمَا. قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ:" مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟". فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ:" مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟". قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: "اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِه "، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال:" اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا". فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ: "اشْتَرِ بِبَعْضِهَا

طَعَامًا وَبَعْضِهَا ثَوْبًا"، ثُمَّ قَالَ:" هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ" .

إن النبي ﷺ لم يساعد الرجل بسمكة للطعام كما يسهل للبعض، ولكن أراد أن يعلمه الصيد .

(٥٥) اصفح

اصفح عمن ظلمك إذا أقدرك الله عليه؛ فإن العافين عن الناس هم من أعلى البشر مكانة يوم القيامة، وقد وعدهم المولي سبحانه جنة عرضها السماوات والأرض، فقال سبحانه: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "[1]

[1] سورة آل عمران، آية ١٣٣: ١٣٤ .

يروي أنس بن مالك ﷺ: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ﷺ: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟

فقال ﷺ: "رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله ﷻ: فكيف تصنع بأخيك ولم يبقَ من حسناته شيء؟ قال: فليحمل من أوزاري". ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال:" إن ذلك اليوم يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم أوزارهم، فقال الله ﷻ للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال: يا رب، أرى مدائن من ذهب وقصورًا من ذهب ولؤلؤا لأي نبي أو لأي صديق أو لأي شهيد هذا؟ فقال ﷻ: لمن يعطي الثمن. قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب فإني قد عفوت عنه. قال ﷻ: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة". فقال ﷺ عند ذلك:" اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين" .

(٥٦) التمس

التمس العذر للآخرين فأنت لا تعلم ما لديهم من ظروف، ولا تعلم لو كنت مكانهم ماذا كنت فاعلًا .

إننا يا بني نفترض دائمًا صحة استنتاجاتنا، فهذا كريم، وذاك بخيل، وهذا ماكر، وذاك صريح وكل ذلك نتيجة موقف أو موقفين، ونحاول أن نثبت لأنفسنا على الدوام أننا نستطيع قراءة ما في نفوس وقلوب الآخرين، ونسينا جميعًا أن عمل القلب أخفاه الله عز وجل عن الوجود كله فهو سر الأسرار الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، واختص الله ﷻ قراءة القلوب بذاته العليا قائلا في محكم كتابه: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [1]) .

إن إصدار الأحكام المسبقة على البشر أو التسرع في الحكم على أفعالهم من أخطر الآفات التي تواجهنا يا بني، وإليك هذه القصة المعبرة أسوقها إليك دون تعليق، وأترك لك تأمل معانيها المؤثرة .

---

[1] سورة غافر، آية ١٩ .

حين وقفت المعلمة أمام الصف الخامس في أول يوم تستأنف فيه الدراسة، وألقت على مسامع التلاميذ جملة لطيفة تجاملهم بها، نظرت لتلاميذها وقالت لهم: إنني أحبكم جميعًا، ولكنها كانت تستثني في نفسها تلميذًا يجلس في الصف الأمامي، يدعى (تيدي ستودارد) .

لقد راقبت السيدة (تومسون) الطفل (تيدي) خلال العام السابق، ولاحظت أنه لا يلعب مع بقية الأطفال، وأن ملابسه دائمًا متسخة، بالإضافة إلى أنه يبدو شخصًا غير مبهج، وقد بلغ الأمر أن السيدة (تومسون) كانت تجد متعة في تصحيح أوراقه بقلم أحمر عريض الخط، وتضع عليها علامات (×) بخط عريض، وبعد ذلك تكتب عبارة: "راسب" في أعلى تلك الأوراق.

وفي المدرسة التي كانت تعمل فيها السيدة (تومسون) كان يطلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لكل تلميذ، فكانت تضع سجل الدرجات الخاص بتيدي في النهاية، وبينما كانت تراجع ملفه فوجئت بشيء لافت للنظر، فلقد كتب معلم تيدي في الصف الأول الابتدائي ما يلي: "تيدي طفل ذكي، ويتمتع بروح مرحة، إنه يؤدي عمله بعناية واهتمام، وبطريقة منظمة، كما أنه يتمتع بدماثة الأخلاق .

وكتب عنه معلمه في الصف الثاني: "تيدي تلميذ نجيب، ومحبوب لدى زملائه في الصف، ولكنه منزعج وقلق بسبب إصابة والدته بمرض عضال، مما جعل الحياة في المنزل تسودها المعاناة والمشقة والتعب.

أما معلمه في الصف الثالث فقد كتب عنه: "لقد كان لوفاة أمه وقع صعب عليه.. لقد حاول الاجتهاد، وبذل أقصى ما يملك من جهود، ولكن والده لم يكن مهتمًّا، وإن الحياة في منزله سرعان ما ستؤثر عليه إن لم تتخذ بعض الإجراءات".

بينما كتب عنه معلمه في الصف الرابع: "تيدي تلميذ منطوٍ على نفسه، ولا يبدي الكثير من الرغبة في الدراسة، وليس لديه الكثير من الأصدقاء، وفي بعض الأحيان ينام أثناء الدرس".

وهنا أدركت السيدة تومسون المشكلة، فشعرت بالخجل والاستحياء من نفسها على ما بدر منها، وقد تأزم موقفها إلى الأسوأ عندما أحضر لها تلاميذها هدايا عيد الميلاد ملفوفة في أشرطة جميلة وورق براق، ما عدا تيدي، فقد كانت الهدية التي تقدم بها لها في ذلك اليوم ملفوفة بسماجة وعدم انتظام، في ورق داكن اللون، مأخوذ من كيس من الأكياس التي توضع فيها الأغراض من البقالة، وقد تألمت السيدة تومسون وهي

تفتح هدية تيدي، وانفجر بعض التلاميذ بالضحك عندما وجدت فيها عقدًا مؤلفًا من ماسات مزيفة ناقصة الأحجار، وقارورة عطر ليس فيها إلا الربع فقط.. ولكن سرعان ما كف أولئك التلاميذ عن الضحك عندما عبَّرت السيدة تومسون عن إعجابها الشديد بجمال ذلك العقد ثم لبسته على عنقها ووضعت قطرات من العطر على معصمها. ولم يذهب تيدي بعد الدراسة إلى منزله في ذلك اليوم. بل انتظر قليلا من الوقت ليقابل السيدة تومسون ويقول لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي .

وعندما غادر التلاميذ المدرسة انفجرت السيدة تومسون في البكاء لمدة ساعة على الأقل، لأن تيدي أحضر لها زجاجة العطر التي كانت والدته تستعملها، ووجد في معلمته رائحة أمه الراحلة، ومنذ ذلك اليوم أولت السيدة تومسون اهتمامًا خاصًّا لتيدي، وحينما بدأت التركيز عليه بدأ عقله يستعيد نشاطه، وكلما شجعته كانت استجابته أسرع، وبنهاية السنة الدراسية، أصبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزًا في الفصل، وأبرزهم ذكاء، وأصبح أحد التلاميذ المدللين لديها ..

وبعد مضي عام وجدت السيدة تومسون مذكرة عند بابها للتلميذ تيدي، يقول لها فيها: إنها أفضل معلمة قابلها في حياته .

مضت ست سنوات دون أن تتلقى أي مذكرة أخرى منه، ثم بعد ذلك كتب لها أنه أكمل المرحلة الثانوية، وأحرز المرتبة الثالثة في فصله، وأنها حتى الآن ما زالت تحتل مكانة أفضل معلمة قابلها طيلة حياته .

وبعد انقضاء أربع سنوات على ذلك، تلقت خطابًا آخر منه يقول لها فيه: "إن الأشياء أصبحت صعبة، وإنه مقيم في الكلية لا يبرحها، وإنه سوف يتخرج قريبًا في الجامعة بدرجة الشرف الأولى، وأكد لها كذلك في هذه الرسالة أنها أفضل وأحب معلمة عنده حتى الآن .". .

وبعد أربع سنوات أخرى تلقت خطابًا آخر منه، وفي هذه المرة أوضح لها أنه بعد أن حصل على درجة البكالوريوس قرر أن يتقدم قليلا في الدراسة، وأكد لها مرة أخرى أنها أفضل وأحب معلمة قابلته طوال حياته!!

لم تتوقف القصة عند هذا الحد، لقد جاءها خطاب آخر منه في ذلك الربيع، يقول فيه: "إنه قابل فتاة، وأنه سوف يتزوجها، وكما سبق أن أخبرها بأن والده قد توفي قبل عامين، وطلب منها أن تأتي لتجلس مكان والدته في حفل زواجه، وقد وافقت السيدة

تومسون على ذلك، والعجيب في الأمر أنها كانت ترتدي العقد نفسه الذي أهداه لها في عيد الميلاد منذ سنوات طويلة مضت، والذي كانت إحدى أحجاره ناقصة، والأكثر من ذلك أنه تأكد من تعطرها بالعطر نفسه الذي ذكّرهُ بأمه في آخر عيد ميلاد!!

واحتضن كل منهما الآخر، وهمس (دكتور ستودارد) في أذن السيدة تومسون قائلا لها: أشكرك على ثقتك فيّ، وأشكرك أجزل الشكر على أن جعلتني أشعر بأنني مهم، وأنني يمكن أن أكون رائعًا ومتميزًا...

فردت عليه السيدة تومسون والدموع تملأ عينيها: أنت مخطئ، لقد كنت أنت من علمني كيف أكون معلمة رائعة ومتميزة، لم أكن أعرف كيف أعلم حتى قابلتك .

من فضل الله علينا أن جعل أفكارنا كاسية مستترة وجعل عقولنا عليها حارسة وإلا لفسدت حياتنا على الأرض

شريف صلاح الدين

تيدي ستودارد هو الطبيب الشهير الذي لديه جناح باسمه في مركز "ستودارد" لعلاج السرطان في مستشفى (ميثودست) في (ديس مونتيس) ولاية أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من أفضل مراكز العلاج ليس في الولاية نفسها وإنما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية .